The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذا اليَوم
Ecclesiastes 7:1-12	سِفْر الجامعة 7: 1 12
#646	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 646
Pastor Chuck Smith	الرَّاعي تشَكْ سميث

[المُقَدِّمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

أهْلًا وَمَرْحَبًا بِكَ، صَديقي المُستَمِع، في حَلْقَةٍ جَديدَةٍ مِنَ البَرْنامَجِ الإذاعيِّ "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم". في حَلْقَةِ اليوم، سنتابع بِنِعْمَةِ الربِّ دِراسَتَنا لِسِفْرِ الجامعة على فَمِ الرَّاعي "تشك سميث".

فَإنْ كَانَ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ، نَرْجو أنْ تَفْتَحَهُ على الأصحاح السابع من سِفر الجامعة. أمَّا إنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ في هَذِهِ اللَّحْظَةِ، فَمَا نَرْجوهُ مِنْكَ، يا صَديقي، هُوَ أنْ تُصْغي بِروحِ الخُشوعِ وَالصَّلاة.

وَالآنْ نَتْرُكُكُمْ، أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعين، مَعَ دَرْسٍ قَيِّمٍ آخَرَ مِنْ سِفْرِ الجامعة دَرْسًا أعَدَّهُ لَنا الرَّاعي "تشك سميث":

[العِظَة]
(الرَّاعي "تْشَكْ سميث")

بهذا الأصحاح السابع، ندخل إلى القسم الثاني من سِفر الجامعة، حيث يقدّم الملك سليمان نصائح للتعايش مع البُطل الذي شاهَدَه وسجّله في الأصحاحات السابقة. لقد درسَ سليمان كل ما تحت الشمس، فرأى البطل والمعاناة والفوضى والجهل إلى أن توصَّل إلى هذا الاستنتاج: إنّ الحياة فارغة، خاوِية وباطلة. وأتت استنتاجاته خاطئة لأنها كانت مبنيَّة على مشاهدة الأمور الجارية تحت الشمس بدون استحضارها إلى نور محضر الله في كلمته. وهذا درس هام وهو أنّ مشاهدات أعظم حكيم إذا لم تُستحضر في نور كلمة الله تقود الإنسان إلى الضلال. فإذا كانت أهدافنا وغاياتنا محصورة بما هو تحت الشمس سنتوصّل إلى الاستنتاج نفسه الذي توصّل إليه سليمان، وهو أنّ الحياة تافهة وباطلة وليست جديرة بالاهتمام.

لكن الله، له كلّ المجد، لم يُرِد أن تكون حياتك محدودة ومحصورة بما هو تحت الشمس، بل أراد أن تختبر، صديقي المستمع، الحياة الأبديّة والحقيقيّة في ابنه، شمس البِرّ، الربّ يسوع المسيح. دَعونا نسمع ما يقوله الرسول يوحنّا في رسالته الأولى، الأصحاح الخامس والعددين 11 و12:

"مَن له الابن له الحياة". نعم إنّ الحياة الحقيقيّة هي في المسيح يسوع حيث نجد المعنى الحقيقي والهدف الحقيقي للحياة.

إنّ الحياة المنفصلة والمستقلة عن يسوع المسيح، والتي هي بمعزل عن هذا البُعد الروحي، هي حياة على المستوى الحيواني. إنها حياة جسدية فقط وتؤدّي إلى الفشل واليأس. وهذا ما توصّل إليه الفلاسفة. وهكذا نرى أنّ هذه الفلسفات قادت الناس إلى الإحباط واليأس.

عندما نقرأ سِفر الجامعة نرى أنّه كتاب يَسوده اليأس. نقرأ في الأصحاح الرابع من سِفر الجامعة والعدد الرابع: "رأيتُ كلَّ الأعمال التي عمِلت تحت الشمس فإذا الكلّ باطل الأباطيل". فالاستنتاجات التي توصّل إليها سليمان هي استنتاجات من الوقائع والحُجج التي تعتمد على الحكمة البشرية بالاستقلال عن الله. لهذا لا يمكن أن تؤخَذ كحقائق عقائديّة، إلاّ أنها تَكشِف لنا عن النهاية التي يصل إليها التفكير البشري الأرضي الدُنيَوي بمعزل عن الله.

إنها ليست نتيجة الحكمة السماويّة. لكن إن كنّا نرقى إلى المستوى الروحي، لكنّا ننتهي إلى استنتاج مختلف تمامًا.

دعونا نفتح الكتاب المقدّس على الأصحاح الحادي عشر من سِفر الملوك الأول والأعداد 1 3:

وَأَحَبَّ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ نِسَاءً غَرِيبَةً كَثِيرَةً مَعَ بِنْتِ فِرْعَوْنَ: مُوآبِيَّاتٍ وَعَمُّونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصَيْدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ مِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمُ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: [لاَ تَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لاَ يَدْخُلُونَ إِلَيْكُمْ، لأَنَّهُمْ يُمِيلُونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ]. فَالْتَصَقَ سُلَيْمَانُ بِهَؤُلاَءِ بِالْمَحَبَّةِ. وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ، وَثَلاَثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَارِيِّ. فَأَمَالَتْ نِسَاؤُهُ قَلْبَهُ.

كان الربّ قد سبق وحذّر سليمان من هذا الأمر بالذات في وقت مُبكِر. إنّ كثرة الزوجات عند الملك والتي نهى عنها الكتاب المقدَّس في سِفر التثنية 17: 17، كان من شأنِها أن تجعل قلبه يزيغ ويحيد عن الله. وهذا الأمر أكّده اختبار سليمان، حيث أنّ محبَّته لزوجاته قادته إلى التخلّي عن ولائه للربّ ليعبد آلهة أخرى. وكان سليمان الملك قد اعتمد أسلوب تعدُّد الزوجات لإظهار مقدار عظمة مملكته. لكن هذا الأمر شكّل خطيّة ونقضًا مباشرًا للشريعة الإلهيّة. وهكذا حصلت هذه النتيجة الوخيمة التي وضعت تلك الشريعة ليتحذّر منها.

فكلّما كان سليمان يتزوّج امرأة غريبة من منطقة غير منطقته كان يبني مذبحًا لها كيما تستطيع أن تذهب وتقدِّم البخور لإلهها. وهكذا نرى أنّ نساءَه أملن قلبه. ونقرأ في العدد الرابع من سِفر الملوك الأول 11: **"وَكَانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلاً مَعَ الرَّبِّ إِلَهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ."** ظنّ سليمان أنه يقدر أن يخالف النواميس التي أعطاها الله لحماية الإنسان. لكن الله يعرف طبيعتنا البشريّة أكثر ممّا نعرفها نحن ولهذا أعطانا نواميس لكي تحمينا، وهو يعرف ما ستكون نتائج مخالفة الإنسان لهذه النواميس.

وهكذا نرى أنّ قلب سليمان كان قد زاغ وابتعد عن الله. فَقَدَ سليمان معنى الحياة والهدف من الحياة. وعندما أمسى في سنواته المتقدّمة كتب اختباره هذا. نراه هنا يحاول أن يجد معنى الحياة بمعزل عن الله فكانت النتيجة أنه وجَدَها فارغة وباطلة. وهكذا فلا يمكننا أن نأخذ استنتاجاته كعقيدة روحيَّة، وبالتالي علينا أن ننظر إلى سِفر الجامعة هكذا.

إنّ الحكمة البشريّة حتى أرفع صوَرِها، بعيدًا عن الله هي جهالة. تقول كلمة الله في رسالة رومية 1: 22، "بينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء".

لذلك نجد في الأصحاح السابع من سِفر الجامعة نصائح حكيمة عن طريق أمثال تذكّرنا بسِفر الأمثال مع هذا الفارق: في سِفر الأمثال نجد تعليمات الحكمة النازلة من السماء بينما هنا في سِفر الجامعة نجد تعليمات الحكمة البشريّة في أرفع صوَرِها، ولكنها في النهاية تبقى حكمة بشريّة كما سبق وقلنا.

نبدأ دراستنا بقراءة العدد الأول من الأصحاح السابع:

اَلصِّيتُ خَيْرٌ مِنَ الدُّهْنِ الطَّيِّبِ وَيَوْمُ الْمَمَاتِ خَيْرٌ مِنْ يَوْمِ الْوِلاَدَةِ.

هنا نرى سليمان يقرّر أنّ الصيت الحسن أو الاسم الحسن في حياة الإنسان أفضل من أعلى تنعّمات الغنى. إنَّ اقتناء اسم أو سمعة حسنة خير من الدُّهن الطيِّب. فالدُّهن يُستخدَم لوقتٍ ما وزمانٍ ما. أما الصيت فهو لكل وقتٍ ولكلِّ زمان، والدُّهن للجسد فقط أما الصيت فهو للإنسان كله.

"يوم الممات خير من يوم الولادة". فالولادة هي بداية حياة مجهولة قد تكون سعيدة وقد تكون تعيسة، أما الموت فيحملنا للراحة وهو نهاية الجهاد إذا كان الإنسان مخلَّصًا ومؤمنًا بيسوع المسيح. والحكيم يحيا وعيناه على يوم موتِه فلا ينشغل بالأمور الزمنية، بل ينتظر يوم موته ليدخل إلى الحياة الأبدية، ويرى أنَّ حياته على الأرض ما هي إلا استعداد لمجدٍ أبدي. أما الإنسان المادي فيحتفل بعيد ميلاده ويهرب من التفكير في يوم مماته.

ثم نقرأ في الأعداد 2 4:

اَلذَّهَابُ إِلَى بَيْتِ النَّوْحِ خَيْرٌ مِنَ الذَّهَابِ إِلَى بَيْتِ الْوَلِيمَةِ، لأَنَّ ذَاكَ نِهَايَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ، وَالْحَيُّ يَضَعُهُ فِي قَلْبِهِ. اَلْحُزْنُ خَيْرٌ مِنَ الضَّحِكِ، لأَنَّهُ بِكَآبَةِ الْوَجْهِ يُصْلَحُ الْقَلْبُ. قَلْبُ الْحُكَمَاءِ فِي بَيْتِ النَّوْحِ، وَقَلْبُ الْجُهَّالِ فِي بَيْتِ الْفَرَحِ.

وهكذا نرى أنّ نظرة الملك سليمان للحياة هنا أمست نظرة تشاؤميّة لأنّ الابتعاد عن الله هو، في الحقيقة، فراغ وخواء ومرارة.

إنّ الحزن الذي يتكلم عنه هنا هو حزن التوبة الذي نمارسه يوميًّا وهذا يُصلِح القلب. ولا يُفهَم من هذا أن نظهر بوجهٍ مكتئبٍ أمام الناس، وإنما يُمارَس هذا الحزن في المخدع، دون أن نحطِّم الآخرين معنا. إنَّ أبي السماوي الذي رآني باكيًا حزينًا في غرفتي ومخدعي سيجازيني علانية بعلامات السلام والفرح الروحي على وجهي أمام الناس.

ننتقل الإن إلى الأعداد 5 12:

سَمْعُ الانْتِهَارِ مِنَ الْحَكِيمِ خَيْرٌ لِلإِنْسَانِ مِنْ سَمْعِ غِنَاءِ الْجُهَّالِ، لأَنَّهُ كَصَوْتِ الشَّوْكِ تَحْتَ الْقِدْرِ هكَذَا ضَحِكُ الْجُهَّالِ. هذَا أَيْضًا بَاطِلٌ. لأَنَّ الظُّلْمَ يُحَمِّقُ الْحَكِيمَ، وَالْعَطِيَّةَ تُفْسِدُ الْقَلْبَ. نِهَايَةُ أَمْرٍ خَيْرٌ مِنْ بَدَايَتِهِ. طُولُ الرُّوحِ خَيْرٌ مِنْ تَكَبُّرِ الرُّوحِ. لاَ تُسْرِعْ بِرُوحِكَ إِلَى الْغَضَبِ، لأَنَّ الْغَضَبَ يَسْتَقِرُّ فِي حِضْنِ الْجُهَّالِ. لاَ تَقُلْ: «لِمَاذَا كَانَتِ الأَيَّامُ الأُولَى خَيْرًا مِنْ هذِهِ؟» لأَنَّهُ لَيْسَ عَنْ حِكْمَةٍ تَسْأَلُ عَنْ هذَا. اَلْحِكْمَةُ صَالِحَةٌ مِثْلُ الْمِيرَاثِ، بَلْ أَفْضَلُ لِنَاظِرِي الشَّمْسِ. لأَنَّ الَّذِي فِي ظِلِّ الْحِكْمَةِ هُوَ فِي ظِلِّ الْفِضَّةِ، وَفَضْلُ الْمَعْرِفَةِ هُوَ إِنَّ الْحِكْمَةَ تُحْيِي أَصْحَابَهَا.

"نِهَايَةُ أَمْرٍ خَيْرٌ مِنْ بَدَايَتِهِ". هذه الآية تصلح كختام للآيات السابقة. فرجوع جندي من الحرب منتصرًا هو أحسن من يوم ذهابه للحرب المجهولة نتائجها. وهكذا، فنهاية حياة المؤمن المسيحي هي أفضل من يوم ميلاده، لأن يوم موته هو يوم رجوعه منتصرًا من حروبه الروحية وجهاده. فنهاية حياتنا بالموت هي نهاية تعب وأما يوم ميلادنا هو بداية التعب.

أما فيما يتعلق بالماضي، من السهل الحديث عن "الأيام الماضية الطيبة"، مع أنه في كثيرٍ من الأحيان لم تكن هناك أوقات طيبة بالمرة. فأحيانًا لا نتذكر إلا الأشياء الطيبة عن الماضي، وننسى أنه كانت لها أيضًا مشكلاتها. فبدلاً من الحياة في الماضي، إعزِم على أن تعيش من أجل اليوم. عِشْ بطريقة تجعلك عندما تتطلع في المستقبل إلى الوراء تراه يومًا من "الأيام الماضية الطيبة."

ثم يعطينا في العددين 11 و12 مُبَايَنة بين الحكمة والثروة. فكما أنّ الميراث أو الفضّة ظِلّ أو وِقاء تحمي أصحابها من الفقر المادّي والاحتياج إلى ضرورات الزمن، هكذا الحكمة والمعرفة، لكنّهما ظلٌّ ووقاءٌ أسمى وأعظم. فالفضة قد تحمي أصحابها من الفقر المادّي لكنها تترك من تحت ظلّها فقراء روحيًا بل أمواتًا منفصلين عن الله أدبيًا وينتظرهم الموت الثاني في النار الأبديّة بلا رجاء. ما أروعها من مباينة، وما أروعه تحليلاً لأفضليَّة الحكمة كظلّ مجيد مُحيي.

لذلك نسمع الحكمة الأزلي يقول في سِفر الأمثال، الأصحاح 8، والأعداد 12 26:

أَنَا الْحِكْمَةُ أَسْكُنُ الذَّكَاءَ، وَأَجِدُ مَعْرِفَةَ التَّدَابِيرِ. مَخَافَةُ الرَّبِّ بُغْضُ الشَّرِّ. الْكِبْرِيَاءَ وَالتَّعَظُّمَ وَطَرِيقَ الشَّرِّ وَفَمَ الأَكَاذِيبِ أَبْغَضْتُ. لِي الْمَشُورَةُ وَالرَّأْيُ. أَنَا الْفَهْمُ. لِي الْقُدْرَةُ. بِي تَمْلِكُ الْمُلُوكُ، وَتَقْضِي الْعُظَمَاءُ عَدْلاً. بِي تَتَرَأَّسُ الرُّؤَسَاءُ وَالشُّرَفَاءُ، كُلُّ قُضَاةِ الأَرْضِ. أَنَا أُحِبُّ الَّذِينَ يُحِبُّونَنِي، وَالَّذِينَ يُبَكِّرُونَ إِلَيَّ يَجِدُونَنِي. عِنْدِي الْغِنَى وَالْكَرَامَةُ. قِنْيَةٌ فَاخِرَةٌ وَحَظٌّ. ثَمَرِي خَيْرٌ مِنَ الذَّهَبِ وَمِنَ الإِبْرِيزِ، وَغَلَّتِي خَيْرٌ مِنَ الْفِضَّةِ الْمُخْتَارَةِ. فِي طَرِيقِ الْعَدْلِ أَتَمَشَّى، فِي وَسَطِ سُبُلِ الْحَقِّ، فَأُوَرِّثُ مُحِبِّيَّ رِزْقًا وَأَمْلأُ خَزَائِنَهُمْ. «اَلرَّبُّ قَنَانِي أَوَّلَ طَرِيقِهِ، مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِ، مُنْذُ الْقِدَمِ. مُنْذُ الأَزَلِ مُسِحْتُ، مُنْذُ الْبَدْءِ، مُنْذُ أَوَائِلِ الأَرْضِ. إِذْ لَمْ يَكُنْ غَمْرٌ أُبْدِئْتُ. إِذْ لَمْ تَكُنْ يَنَابِيعُ كَثِيرَةُ الْمِيَاهِ. مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَرَّرَتِ الْجِبَالُ، قَبْلَ التِّلاَلِ أُبْدِئْتُ. إِذْ لَمْ يَكُنْ قَدْ صَنَعَ الأَرْضَ بَعْدُ وَلاَ الْبَرَارِيَّ وَلاَ أَوَّلَ أَعْفَارِ الْمَسْكُونَةِ.

فمن يُخضِع ذهنه لحكمة الله، سيفهم ويكتسب المعرفة الخُلُقيّة والبصيرة لإدراك الحقّ. وهكذا فأثمن حقيقة يمكن أن يبلغها الشخص هي الحكمة التي تمكّنه من تنظيم حياته

بموجب معيار الحقّ الإلهي. إنّ الحكمة تُبغِض ما يبغضه الله ولذلك تكره الحكمة الكبرياء وتمجيد الذات.

عندما أصبح سليمان ملكًا، طلب من الله الحكمة، فأصبح أحكم إنسان في العالم. فدرس وعلّم وقضى وكتب، وجاء إليه ملوك وقادة من أممٍ أخرى ليتعلّموا منه. ولكن رغم كلّ نظرته العمليّة إلى الحياة، فَشِل سليمان في مراعاة نصائحه، وبدأت حياته في الانحدار. وعند اقتراب نهاية حياته تطلّع إلى الوراء من موقف الاتضاع والتوبة. لقد أعاد تقييم العالم كما اختبره، آملًا أن يوفّر على قُرّائه مرارة التعلّم من خلال الخبرة الذاتيّة، أنّ كلّ الأشياء بعيدًا عن الله، هي باطلة وبلا معنى. ففي سِفر الجامعة يوضح سليمان كيف أن كلّ الأشياء جَرَّبها وامتحنها وذاقها، كانت باطلة، وبلا هدف، وفارغة.

وهنا علينا أن نتذكّر أنّ كلماته هذه صدرت عن شخص حصل على كل شيء، القوّة الهائلة، الحكمة والثروة. ففي هذا السِفر نقرأ عن اختبار سليمان الشخصي وملاحظات سليمان العامة ومشورته العمليَّة، كما نقرأ عن قرار سليمان الأخير.

هو يقول أنّ المعنى في الحياة لا يوجد في المعرفة أو المال أو في السرور أو في العمل أو في الشهوة. فهذا السِفر يمكنه أن يساعدنا على التحرّر من جشعنا وطمعنا في السلطة والمال ورضا الناس ويزيدنا قربًا من الله. إنه يوفّر على الأجيال القادمة مرارة ما يتعلّمونه عن طريق خبراتهم الشخصيّة، من أن الحياة لا معنى لها بعيدًا عن الله.

[الخاتمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

سيكمل بمشيئة الله، الراعي "تشك سميث" دراسته عن سِفر الجامعة في الحلقة المقبلة. أما الآن، نترككم، أعِزَّاءَنا المستمعين، مع كلمة ختامية.

[كَلِمَة خِتاميَّة]
(الرَّاعي تْشَك سميث)

إنّ الحكمة البشريّة لا تقدّم كلّ الإجابات. فالمعرفة والتعليم لهما حدودهما. في خِضَمّ الضيق وعدم الرضى، يسهل أن يفقد المرء الصلة بالحقيقة. لذلك نحن في حاجة إلى الحكمة السماويّة النازلة من فوق، من عند الله، وليس إلى الحكمة المتركّزة على الذات والمملوءة بالطموح الشخصي والمقتصرة على الأرض والمتّسمة بالضعف، وقلب غير مقدَّس.

أما الحكمة الإلهية السماوية فهي تعطي أوّلاً حياة لمَن هو تحتها. نقرأ في سِفر الأمثال، الأصحاح الثامن: "أنا الحكمة. لي المشورة والرأي والفهم. لي القُدرة. مَن يجدني يجد الحياة وينال رضى من الربّ ومَن يُخطئ عني يُضرّ نفسه". إنَّ الله يرضى عن الذين يصغون لمشورة الحكمة. أما الذين يتجاهلون الحكمة، فإنهم يحبون الموت والهلاك. فيجب أن يكون للحكمة أثرها في كل وجوه حياتنا، من البداية إلى النهاية. فتأكد، صديقي المستمع، من أنك تفتح كل أركان حياتك لتوجيه الله وإرشاده.

صلاتنا إلى الله من أجلك، عزيزي المستمع، أن تكون قد وجدتَ المسيح، بل قد وُجدتَ منه ونلت الحياة الأبديّة، وتحيا الآن في رضاه، وتتقوّى فيه وفي شدّة قوّته. له المجد إلى الأبد. أمين.